

السيد محمد زيني البغدادي

توفي ١٢١٦ هـ

هو أبو الجواد محمد بن أحمد زين الدين بن علي بن سيف الدين بن ربيعة بن رضاء الدين بن محمد علي بن عطيفة بن رضاء الدين بن علاء بن المرتضى بن محمد الشريف عز الدين أبي حمزة أحد امراء مكة المتوفى سنة ٧٢٠ هـ الحسيني الشهير بالزيني البغدادي .

ولد شاعرا زيني في النجف ٨ جمادى الاولى سنة ١١٤٨ هـ ١٧٣٥ م ونشأ بها على والده الذي قد هاجر من بغداد لصقل ذهنه الديني ولا تنهاله من غير علمها الصافي الذي أشرف على تنقيته الأبدال من العلماء . توفي تربية ولد به بالصورة التي أخرجه لنا بشراً سوياً ، وأهله لاحتلال ابرز الكرامى بين أعضاء (معركة الخبيس) التي أغفلنا التحدث عنها في ترجمة خديده الشيخ محمد رضا النحوي المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ ولا بد لنا أن نقول عنها ولو شيئاً يسيراً نظراً الى انا افردنا رسالة في هذا الموضوع لا تقل عن مئة صحيفة تضمنت أجلى الصور والمعارك الادبية .

نشأ الزيني المترجماً في النجف وهي إذ ذاك تضطرب فكراً كالوجع عند العاصفة وكلها احتدام وخصام فيما يتعلق بتصنيف العلوم الدينية وخلاصتها من الشوائب المكدرية لحقيقةها ، ولكن النهضة التي رأسها (أغاباقر البهبهاني) والذي كان زعيماً دينياً تخضع لمبدئه النفوس وتطأ له الرؤوس إجلالاً . حسنت زمرة من أعلام الفقهاء وغيرهم أن الدين الذي يضحي المرة من أجله أنفوس شي لديه وهو الوجود الصحيح أصبح غير مفهوم لخلو الطبقة المتفهمة من الأدب الحارس لحقيقة العلم .

شعر هؤلاء النفر وكل منهم علم يشار اليه : الى ضرورة إسعاف الأدب العربي الذي انتهكته السلطة التركية من جهة وأعلام التأليف من أبناء فارس من جهة اخرى

أيها العاذل كف العذل عمن عشق الغيد ، وخلي نصحك اليوم فلا أصغى لتبديد وتوعيد ، فلو كنت ترى الغيداء منذ قابلنا الركب ، فأخبرت بينهم واسطة القلب ، بقدر أهيف قد فضح البان هيز واعتدال ، لم تزل تحتال في مشيتها ما بين غنيج ودلال ، وغدت عشاقها كل تراء كالخلال ؛ فبنقضى ذلك القد ، كذا الجيد من الغيد اذا حصد بوجه يشبه الشمس بل الشمس اکتست من نورها نور وقس من هو في الجنات من ولدان أو حور ، فلا شبه ولا مثل لها في الناس موجود ، وقد اسبلت الشعر على اوراقها الفعم ، فكلم الله من قدره ، وكم للغيد من غره ، فيا غرتها الغرا ، وبما جنتها الحسن ، وبما قمتها الجيفا ، براك الله للامة ، بالقدرة والحكمة ؛ فلو تنظر ذاك القد ، او تلمس منها الخد ، كي تقطف منه الود ، أو ترشف من عذب لها ذلك الشهد ، اسلمت وأذعنت وايقنت باني قائل حقاً ، وقولي لك يا عاذل يا جاهل كان الواقع الصدقا ، الا فاكفف زخاريفك ، وشمر بمضاريك ، ودعني وهوى الغيد فهذي منية العالم والكامل والابطل والضيد ، غدت اسمائها شتى فعند العلماء عزه ، وعند الادبا عزه ، فعذراً يا أبا الجهل ، ولا تمنحني العذل ، فلو شاهدت ما عاينت من لين قوام ، او أحاديث غدت تطفي عن قلبي نيران غرامي ، وكذا عذب رضاب من حساء لم يجد حراً وام استفقت بذات عقلك ، وابصرت به جهلك ، ولو تعلم اياما بفضيلتها مع الغيد تولت ، وليل قد سهرناها مع الهيف تقضت ، قد كسنا العفأ ثواب كمال ودلال ، وحبانا الله عزاً وبهاء وجمال ، فترانا ايها العاذل خلين وفيين نجيين عفيفين ما دنسنا لؤم ، ولا خالطنا شؤم ، لاذعنت وأقبلت باعذار ، وأعلنت بحب الغيد في سر واجهار ، كما أعلنت في حب الامام البطل الليث ، الضارب بالسيف ، والمكرم للضيف ، والصائم بالصيف ، ذاك مولاي علي بن أبي طالب ، الغالب في الحرب ، والمكاشف للكرب ، فاني أسأل الله به أن يقضى الدين ؛ كي أبقى قرير العين ، وأن يصلح لي أمري ، في حشري وفي نشري ، وأن يجعل في خلدي جناته لي داراً وقصراً ومقاماً ،

وأصبحت أئمة التأليف يابسة الى حد فقدت روح الفصاحة والبلاغة ، وما أتت المرن من القول ، وبذلك انتشر التناحر بين طبقات الفقهاء بالمعتمد من الأسلوب والمفكك من الجمل ودخلوا في تطاحن شديد حول كشف المعنى من اللفظ وعود الضمير على أي جملة تكون من الموضوع حتى ولو أدى البعد بينهما الى أكثر من صريحة فلا مانع في عرفهم من عود الضمير عليها . ومن الأمثلة الشوارق والضوابط والقوانين وآخرها كتاب (الكفاية) الذي يعد نتيجة واضحة لتلك المقدمات .

بهذا العامل ونحوه هب فريق من فقهاء العرب وأعلامهم الى اعتناق الأدب والاعلان عنه بتصكريس وقت خاص له يتساجلون فيه ويتطارخون ، وتطور الاعتناء به من قبلهم فجعلوه قالباً يفرغون فيه خواطرهم الفقهية وآراءهم الفلسفية ونظرياتهم الدينية وقواعدهم الاخلاقية ، وبذلك قوي اعتناقه من قبل الأفراد التابعة لهم ، ولكن الأدب لم يتعد عن كونه مقيّد بحدود من التفكير .

واحد اعضاء هذه الحركة هم فائز الفكر الديني آنذاك واليك اسماء البعض (١) السيد مهدي الطباطبائي (٢) الشيخ جعفر الجناحي صاحب كشف الغطاء (٣) الشيخ حسين نجف (٤) السيد صادق الفحام (٥) السيد أحمد العطار (٦) الشيخ علي زيني العاملي (٧) الشيخ محمد رضا النحوي (٨) الشيخ محمد علي الأعمش (٩) الحاج محمدرضا الأزرعي (١٠) الملا يوسف الأزرعي (١١) السيد ابراهيم العطار (١٢) الشيخ محمد بن الشيخ يوسف آل ابي جامع (١٣) السيد احمد الفوزيني (١٤) الشيخ مسلم بن عقيل الجصاني (١٥) المترجم له .

ولم يلاحظ القاري بعد معرفته اسماء اولئك النفر من أئمة العلم ان يصبح كل واحد منهم يرى بعميدة ان الدين لا يفهم الا بواسطة الأدب ، والخطارة الدينية لا تصل الى الذهن الا بواسطة الادب ، والرواية التي يروونها الثقات من اصحاب الامام الصادق والباقر لا يعرف القصد منها بجلاء الا من اوتي موهبة في الادب . يرى

الجميع اتجهوا بهذا الدافع لحراسة هذا الفن القيم واخذوا يسعون لحيائه ونشره بشتى الصور وبمختلف الاساليب وتحسن بنا ان نثبت هنا لمحة عن طريقة الدعاية الادبية التي استعملها هؤلاء الافاذ منهم الشيخ محمد الشيخ يوسف وقد مر على دار المترجم له الزيني وكان غائباً ببغداد ومعه الجناحي والفحام فتذكر مجلسه معه ومناظراته وسمره فقال مرّجلاً :

ما بيننا من خالص الود لا تسلو وغير احاديث الضيافة لا تتلو
مررت على مغناك لزال أهلاً فهاج غرامي والغرام بك يخلو
وعيشك اني ما توهمت آنفاً بعادك عنى أودباع الهوى تخلو
وما جعفر في وده البهر صادقاً

وما صادق من لم يكن في الهوى يخلو
وفي البيت الأخير يعرض بصديقه الجناحي والفحام
وبعث بالآيات الى بغداد ، وكانا يزاحمان الشاعر على
ود المترجم له ، وهل تحسب ان هذا التعريض يذهب
أدراج الرياح . كلا !!! بل أثار غيرة وعجاجة استمرت
في وجه الجامعي ، وكان الجواد السباق لاثارتها الشيخ
جعفر بمقطوعة بعث بها إلى الزيني وهو ببغداد قوله
لساني أعيأ في اعتذاري وما جرى

وان نال حظاً في الفصاحة أوفرا
ولكنني شغفت في مودتي ومحضى للاخلاص سرّاً ومجهراً
قلو انني أهديت مالي بأسره ومال الورى طراً لكنت مقصراً
فدع عنك شيخاً يدعي صفو وده

فما كل من يرعى الاخلاء جعفرأ
يربك بأيام الخميس مودة وفي سائر الايام بذسخ ما أرى
فلا تصحبني غيري فانك قائل بحتمي كل الصيد في جانب القرى
إلى آخر القصيدة ، فأجابه الجامعي بقوله واليك المطلع
ألا من لخل لا يزال مشمرأ لجلب وداد الخلاتي سرّاً ومجهراً
الى آخر أبياتة التي تضمنت الاستنجاد بالعلامة
الطباطبائي وانتخابه حاكماً يأخذ له بحيفه من الشيخ جعفر
وما كان من الطباطبائي إلا أن قدم قراره المنقضى بفوز
الجامعي بقوله واليك المطلع .

أناك كوحى الله أزهراً نوراً قضاء فتى باربه للحكم ماجري

البينة

— ٢ —

بند العلامة السيد محمد مهدي القزويني المتوفي سنة ١٣٠٠ هـ بعث به الى ابن أخيه الشاعر المنسي السيد أحمد القزويني المتوفي سنة ١٣٣٢ هـ (البيان) من العم الذي خضعك بالفضل ~~محمد~~ وفيه عنه إذ نالنا في إملائه ينكشف الغم ، إلى مصباح مشكاة حياة الروح والنفس ، ونور البصر الجالب للأفراح والأمن وسعد الطالع المذهب للنفس ، وبدر الأدب البازغ في الأفق ، جبين الشرف الأقدم ، والفائق في طلعه الشمس ومن فاق على الأقران والأسباب والأمثال والأخدان فيما خص من فضل ، فلا ند ولا شبه ، ولا كفو ولا مثل ، ربي في دارة السعد ، ولم يرتضع الدر ، سوى ثدي معالي العز والمجد ، وطفلا كلم الناس بما ألهم في المهد . فكم قد ظهرت فيه إمارات ، ولاحت فيه للخير علامات ، وللفضل دلالات ، وللسؤدد والمجد به قد وضحت للناس

دون فيها معظم ما ألقى في **يوم الخميس** من صور شعرية ونثرية .

وكان المترجم له يقرب من نفس استاذه الطباطبائي كثيراً فتمد أفهمنا ديوانه أنه مدحه ورثاه بقصائد منها دالته التي نظمها في مهنته بولادة نجله السيد محمد وناريخها سنة ١١٩٧ هـ وهي طويلة نختار منها المطلع والنتهى قوله بشرى فقد وافى السرور السرمند

وقارن الأقبال صبح أسعد
وقل له مبشراً مؤرخاً أتى إليه رحمة محمد
مذ زال أقصى السوء حين أرخوا
« قرة عين للورى محمد »

(البيان)

يتبع

وما أرتب تلي هذا الحكم إلا وقام الشيخ جعفر ناقداً
تبعه وميزاً إياه بقوله واليك انطلق :

جرى الحكم من مولاي في حق رقه
ولست لما أمضاه مولاي منكرا
ولكنها في البين تعرض شبهة يزيد دقيقتي الفكر فيه تحميراً
وما أن أتم اعتراضه إلا وقام الجامعي المحكوم له وأبد
الحكم بقوله :

عذيري من شيخ أخ به المرأ فعاد إلى أن بات لا يألف الكرى
إلى آخره وكان الحكم قد فرز جماعة منهم الفحام فانتصر
للجنابي وتعرض إلى نقد الحكم بقوله :

جرى ماجرى بين الخليلين وانتهى
وان كان معروفاً لما كان منكرا
ولما شاهد الطباطبائي تطور الخصومة الأدبية واتساع
الشجار الأخوي إقترح على الشيخ محمد رضا التحوي أن
يكون إلى جنبه أو يقف موقف المصلح الوديع فأجابه
إلى ذلك فقال قصيدة طويلة مطلعها :

لعمري لقد ثارت إلى أفق السماء
عجاجة حرب حولت نحوها الثرى

وقد بعثت هذه المعركة بأجمعها إلى المترجم الزيني وهو
يقدر فثارت منهم العواطف وبعث لهم بقصيدة طويلة
اليك منها المطلع :

أتاني كتاب مستطاب بطيه خطاب كنشر المسلك فاح معطرا
وكان الزيني أحد الأعضاء الذين يهتمهم أن يعلو
الشجار ويمتد الصراع الأدبي إلى أبعد حد لتفوز بذلك
مشاعر الجبل ويعرف كل عربي افته وأدب قومه ،
فكان يوم الخميس أحد الأيام الزاهرة في الأسبوع لتشكيل
هذا النادي فيه ، والزيني بطبعه ميال إلى إحتدام النفوس
لتقوى المعركة ويملو الخصام ويتنوع الانتصار والانتصار
والعلامة صاحب الحصون ذكر كثيراً من الصور لهذه
المعركة مع تسجيل أسماء أصحابها وشبثاً من سيرتهم
معولاً على المجاميع المخطوطة التي هي بخط جامعها (السيد
جواد زيني) المعروف بـ « سياه بوش » نجل المترجم له فقد